

المعاد الجسماني
بين أهل السنة والفلاسفة
دراسة عقدية

إعداد

د/ عبد اللّه بن علي بن عبد اللّه الشهري

أستاذ العقيدة المشارك – جامعة الأمير سطام بن عبد العزيز بالخرج

المعاد الجسماني بين أهل السنة والفلاسفة دراسة عقدية

عبد الله بن علي بن عبد الله الشهري

قسم: الدراسات الإسلامية، كلية التربية، جامعة الأمير سطام بن عبدالعزيز، الخرج، المملكة العربية السعودية .

الايميل الألكتروني : aboanas9@gmail.com

الملخص:

يتناول هذا البحث بياناً لمعنى المعاد في اللغة والاصطلاح، وفيه عرض للأقوال في مسألة المعاد والبعث، مع بيان القول الحق بأدلته في عودة الأجساد بعد موتها وتحللها وتفرقها، كما يعرض الأدلة التي اعتمد عليه الفلاسفة في قولهم بالمعاد الروحاني فقط، ويذكر أدلتهم، ويركز على رأيي الفارابي وابن سينا حول النفس. كما تطرق البحث إلى تنوع الأدلة القرآنية في إثبات عودة الأجساد بعد تفرقها، وكيف أجابت هذ الأدلة على حجج وشبهات المنكرين.

الكلمات المفتاحية: المعاد، البعث، الفلاسفة، المتكلمين، أهل السنة .

The Physical Resurrection between the Sunnis and philosophers: Doctrine Study

Abdullah bin Ali bin Abdullah Al-Shehri
Department of Islamic Studies- Faculty of Education- Prince Sattam Bin Abdulaziz University-, Al-Kharj- The Kingdom of Saudi Arabia.
Email: aboanas9@gmail.com

Abstract:

The research deals with a statement of the definition of resurrection lexically and termally. If includes the statement of the opinions in the issue of resurrection and returning of bodies after death, showing the right opinion with its evidence in the return of bodies after death, decomposition and disperse.

It also shows the evidence on which the philosophers relied on in their opinions on the spiritual resurrection only mentioning their evidence concentrating on the opinions of Al-Farabi and Ibn-Sina about the soul.

The research also dealt with the diversity of the Qur'anic evidence in proving the return of bodies after their disperse and how this evidence refuted the arguments and suspicious of the deniers.

Key Words: Returning of bodies after death – Resurrection – Philosophers – Theologists – Sunnis.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد: فإن قضية البعث والمعاد من المسائل التي أبدأ فيها القرآن وأعاد؛ تقريرًا للحق، وردًا على المنكرين، وإبطالًا لحججهم.

ومع توافر الأدلة وتنوعها، إلا أن من الطوائف من ضلّ في الإيمان بالمعاد، وخالف ما بيّنه ربنا في كتابه، وقرره نبينا -ﷺ- في سنته، ودلتنا عليه العقول السليمة.

وهذا البحث فيه عرض مختصر للأقوال في هذه المسألة العقدية المهمة، وتفصيل قول الفلاسفة، واستعراض بعض أدلتهم وشبهاتهم، وعرض للقول الحق؛ وهو قول أهل السنة، مع ذكر أدلته، وجوابهم عن أدلة المخالفين.

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية موضوع البحث في كون مسالة المعاد من المسائل العقدية المرتبطة بالإيمان بركن عظيم من أركان الإيمان؛ وهو الإيمان باليوم الآخر، وإنكار عدة طوائف هذا الركن، كان من أبرزها طائفة الفلاسفة؛ حيث أنكروا معاد الأبدان، وزعموا أن الأرواح هي التي تعود، مخالفين بذلك الكتاب، والسنة، والعقل الصريح.

دعا ذلك إلى بيان الحق بدليله، ودحض شبه المنكرين، وبيان زيف قولهم، ومخالفته للأدلة الشرعية والعقلية.

مشكلة البحث وأسئلته:

هذا البحث يجيب عن الأسئلة الموضوعية الآتية: ما القول الحق في عودة الأجساد بعد موتها وتفرقها؟ وما الأدلة التي اعتمد عليه الفلاسفة؟ وما مدى قوة أدلتهم؟ وكيف تناول القرآن الكريم شبهات المنكرين، وأجاب عنها؟

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى بيان القول الصواب في مسألة المعاد الجسماني، وبيان الأدلة الشرعية والعقلية التي أثبتته، والإجابة عن أدلة وشبهات المخالفين.

الدراسات السابقة:

لعل الكتب التي ناقشت مسألة البعث كثيرة، لكنها لم تحرّر – في حدود اطلاعي– مذهب الفلاسفة في المسألة تحريرًا واضحًا. ومِنْ أفضل ما اطَّلعت عليه:

١- موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من آراء الفلاسفة (رسالة دكتوراه ١٤٢٤هـ)، وجاءت مسألة المعاد في مبحث مختصر، مع ذكر ما أورده ابن تيمية فقط دون غيره من العلماء.

٢- المعاد الجسماني بين الفلاسفة والمتكلمين، للباحث قيس عبد الله (مجلة الفنون والأدب – كلية الإمارات عدد ٢٦)، بحث مختصر (تسع صفحات)، ولم يحرر فيه مذهب الفلاسفة جيدًا.

منهج البحث:

استخدم الباحث المنهجين الاستقرائي والنقدي؛ وذلك باستقراء أقوال المذاهب في مسألة المعاد، مع نقد المذهب المخالف للأدلة الشرعية باختصار، وبيان القول الصواب بأدلته.

خطة البحث:

اشتمل هذا البحث على: مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وفهرسًا للمراجع، وآخر للموضوعات.

المقدمة: فيها أهمية الموضوع وأهدافه، والدراسات السابقة، ومنهج البحث وخطته.

التمهيد: فيه توضيح لمعنى المعاد في اللغة والاصطلاح الشرعي.

المبحث الأول: فيه عرض مختصر لأقوال الناس في المعاد.

المبحث الثاني: فيه أقوال الفلاسفة في المعاد الجسماني وأدلتهم.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: رأي الفلاسفة في المعاد الجسماني.

المطلب الثاني: النفس عند الفارابي.

المطلب الثالث: النفس عند ابن سينا.

المطلب الرابع: أدلة الفلاسفة على إنكار بعث الأجسام.

المبحث الثالث: فيه قول أهل السنة في المعاد الجسماني وأدلتهم.

الخاتمة: فيها أبرز نتائج البحث.

الفهارس: وفيه فهرس المراجع، وفهرس الموضوعات.

تمهيد

معنى المعاد لغة واصطلاحا

المعاد لغة: المعاد هو المرجع والمصير. تقول: عاد الشيء عودًا، ومعادًا: أي رجع، وقد يرد بمعنى صار، ومنه حديث معاذ: أعدت فتانًا يا معاذ[1]؟ أي: صرت[2].

وقال في القاموس المحيط: "المعاد: الآخرة، والحج، ومكة والجنة، وبكليهما فسر قوله – تعالى –: ﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾[3]، والمرجع المصير، ورجع عودًا على بدء، وعوده على بدئه، أي: لم يقطع ذهابه حتى وصله برجوعه"[4]. قال ابن فارس: "العود: يقال: رجع عودًا على بدء، ورجع عوده على بدئه ... والمعاد: كل شيء إليه المصير، والآخرة معاد الناس، والله – تعالى – المبدئ المعيد، وذلك أنه أبدأ الخلق ثم يعيدهم"[5].

والآخرة معاد الخلق، والمعاد يقال للعود والزمان الذي يعود فيه، وقد

---

(١) لم أجده بهذا اللفظ في كتب الحديث، والأصل مخرج في الصحيحين. انظر: البخاري: (٢٣٩٣)، ومسلم (٢٣٩٣).

(٢) انظر: لسان العرب لابن منظور الأفريقي: ٣١٨٥/٤، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

(٣) سورة القصص، آية (٨٥).

(٤) القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، ص ٣٨٦، دار الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٨٧م.

(٥) مقاييس اللغة، أحمد بن فارس: ١٨١/٤، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩١م.

يكون للمكان الذي يعود إليه[1].

المعاد اصطلاحًا: عودة الأموات أحياء بعد موتهم، وخروجهم من قبورهم، كما قال – سبحانه -: (كما بدأكم تعودون)، وقال الحسن ومجاهد: كما بدأكم وخلقكم في الدنيا ولم تكونوا شيئًا، كذلك تعودون أحياء يوم القيامة[2].

فهو رجوع بعد فناء، وعودة للحياة بعد موت. قال القاضي عياض: المعاد في الآخرة هو مرجع الإنسان إلى الحياة بعد الموت، ومصيره إلى عقبى أمره وحالته في الآخرة[3].

وله عند العلماء مسميات متعددة؛ منها: البعث ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾[4]، ومنها النشور ﴿وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾[5]، والبعث والنشور بمعنى واحد؛ وهو إحياء الموتى.

ومن أسماء المعاد: الحشر ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾[6].

أنواعه:

المعاد نوعان: معاد جسماني، ومعاد روحاني.

---

(١) انظر: المفردات للراغب، الحسين بن محمد الأصفهاني، ص٣٥٢، دار المعرفة، بيروت.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير: ٣/٢٢٤.

(٣) انظر: مشارق الأنوار على صحاح الآثار: ٢/١٠٥.

(٤) سورة البقرة، آية (٥٦).

(٥) سورة الملك، آية (١٥).

(٦) سورة الأنعام، آية (٣٨).

المعاد الجسماني: هو عودة البدن إلى الوجود بعد أن بلي وتحلل وفني.

وأما المعاد الروحاني، فيعبر عنه الفلاسفة بقولهم: إنه عودة روح الإنسان إلى ما كانت عليه من التجرد عن علاقة البدن واستعمال الآلات، أو التبرؤ عما ابتليت به من الظلمات؛ فتكون منعمة، أو معذبة[١].

ولهذا قال الفلاسفة: (من مات قامت قيامته)، فإنه لا بعث للأجساد، وإنما هو نعيم أو عذاب يلحق الروح. وهذا قول ابن سينا، والفارابي، وغيرهما من الفلاسفة[٢].

---

(١) انظر: شرح المقاصد للتفتازاني: ١٥٣/٢.

(٢) انظر: تفصيل قول الفلاسفة في المبحث الثاني.

المبحث الأول

أقوال الناس في المعاد

المشهور في كثير من المدونات عند سرد الخلاف، أن الأقوال في هذه المسألة أربعة:

القول الأول: إن المعاد والبعث للبدن والروح معًا، وأن الروح عند الموت تفارق البدن؛ وهي إما منعمة أو معذبة، وعند البعث تعود إلى البدن.

وهذ القول هو قول سلف الأمة من الصحابة والتابعين، ومن سار على طريقتهم من أهل العلم والتحقيق.

القول الثاني: إن المعاد فقط يكون للأبدان. وهو قول عامة المتكلمين.

وينسبه بعض العلماء لجمهور المسلمين، وقد أنكر ابن تيمية هذه النسبة، فقال -رحمه الله-: "والقول الثاني: قول من يثبت معاد الأبدان فقط، كما يقول ذلك كثير من المتكلمين الجهمية، والمعتزلة المبتدعين من هذه الأمة، وبعض المصنفين يحكي هذا القول عن جمهور متكلمي المسلمين، أو جمهور المسلمين، وذلك غلط، فإنه لم يقل ذلك أحد من أئمة المسلمين، ولا هو قول جمهور نظارهم، بل هو قول طائفة من متكلميهم المبتدعة، الذين ذمهم السلف والأئمة"(١).

القول الثالث: إن المعاد يكون للأرواح فقط؛ لأن الموت قاطع للصلة بين الجسد والروح. وهو قول أكثر الفلاسفة.

---

(١) الجواب الصحيح، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية: ٦/١٠، ١١، تحقيق: علي ابن حسن وآخرين، دار العاصمة، الرياض، ط٢، ١٤١٩هـ ١٩٩٩م.

القول الرابع: إنكار المعاد كلية. وهو قول المشركين والدهرية وغيرهما(١).

ونحتاج إلى التحقق من تحرير رأي المتكلمين، وهل في كلامهم إنكار لمعاد الأرواح؟

رأي المتكلمين:

من خلال تتبع كلام أهل الكلام، يظهر للقارئ أنهم في الحقيقة الظاهرة لا يثبتون المعاد الجسماني لوحده، بل يرون أن الروح تعود إلى الجسد عند البعث، وأن الأجساد لا تعدم وإنما تتفرق، وتبقى الأرواح منتظرة اجتماع أجزاء الجسد لتتصل به من جديد، واستدلوا على هذا القول بأدلة متعدد؛ منها:

١- قوله – تعالى -: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّـٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾(٢).

٢- وقوله – تعالى -: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝ بَلَىٰ قَـٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ﴾(٣).

٣- وقوله – تعالى -: ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾(٤).

٤- وقوله – تعالى -: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ

---

(١) انظر: موقف ابن تيمية من الفلاسفة، صالح الغامدي، ص ٤٩٥، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤٢٤هـ.

(٢) سورة يس، آية (٨١).

(٣) سورة القيامة، الآيتان (٣، ٤).

(٤) سورة ق، آية (٤٤).

ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗاۚ وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾[1].

ويرى التفتازاني أن إثبات المعاد من الضروريات في الدين، وأن إنكاره هو إنكار للمعلوم من الدين بالضرورة، والذي يُحْكَمُ على صاحبه بالمروق من الدين[2].

ويرى بعض المتكلمين أن في الإنسان أجزاء صلبة لا تصيبها زيادة ولا نقصان، ولا تتبدل ولا تتغير[3].

وأما أبو حامد الغزالي فيقول: إن النفس مجردة وغير مادية، وبالغ في إثبات وتأكيد معاد الأرواح، وما يرتبط بالروح من الثواب والعقاب. ومبالغته تلك، جعلت صاحب المقاصد يعلق بقوله: " قد بالغ الغزالي في تحقيق المعاد الروحاني، وبيان أنواع الثواب والعقاب بالنسبة إلى الروح، حتى سبق إلى كثير من الأوهام، ووقع في لسان بعض العوام أنه ينكر حشر الأجساد - افتراء عليه - كيف؟! وقد صرح به في مواضع من كتاب الإحياء وغيره، وذهب إلى أن إنكاره كفر. وإنما لم يشرحه في كتبه كثيرًا لما قال: إنه لا يحتاج إلى زيادة بيان ... "[4].

والحق أن هذا ليس فهمًا للعوام فقط، بل الفيلسوف ابن طفيل يرى أن

---

(١) سورة البقرة، آية (٢٦٠).

(٢) انظر: شرح المقاصد، سعد الدين التفتازاني: ٢/٢١٢، ٢١٣، إسطنبول ١٣٠٥هـ.

(٣) انظر: كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، الحسن بن يوسف الحلي، ص ٢٥٦، مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت، ط١.

(٤) شرح المقاصد: ٢/١٥٦.

الغزالي يقول بالمعاد الروحاني دون الجسماني. قال ابن طفيل: "وأما ما كتبه الشيخ أبو حامد الغزالي، فهو بحسب مخاطبته للجمهور، يربط في موضع ويحلّ في آخر، ويكفر بأشياء ثم ينتحلها، ثم إنه في جملة ما كفّر به الفلاسفة في (كتاب التهافت) إنكارهم لحشر الأجساد، وإثباتهم الثواب والعقاب للنفوس خاصة، ثم قال في أول كتاب الميزان: إن هذ الاعتقاد هو اعتقاد شيخ الصوفية على القطع، ثم قال في كتابه "المنقذ من الضلال": إن اعتقاده هو كاعتقاد الصوفية، وإن أمره إنما وقف على ذلك بعد طول البحث"[(١)].

وهذا الكلام من الغزالي عن الصوفية وغيره من المقولات التي هي مبثوثة في كتبه، هي في الثناء على تزكية الأخلاق عندهم ونقاء القلوب وحسن السلوك، وليس في تتبع مقالاتهم وتأييدها. ومن هذه المقولات التي نقلها ابن طفيل قول الغزالي: " إني علمت أن الصوفية هم السالكون لطريق الله – تعالى – خاصة، وإن سيرتهم أحسن السير، وطريقهم أصوب الطرق، وأخلاقهم أزكى، بل لو جمع عقل العقلاء وحكمة الحكماء وعلم الواقفين على أسرار الشرع، ليغيروا من سيرهم وأخلاقهم ويبدلوه بما هو خير منه لم يجدوا إليه سبيلًا. حركاتهم وسكناتهم في ظاهرهم وباطنهم مقتبسة من نور مشكاة النبوة، وليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نور يستضاء به"[(٢)].

والصواب أن الغزالي يقول بالمعادين الروحاني والجسماني، وقد صرح

---

(١) انظر: فلسفة ابن طفيل ورسالته "حي بن يقظان" للدكتور/ عبد الحليم محمود، ص ٩٢، مطبعة الأنجلو.

(٢) المنقذ من الضلال، ص ١٧٨.

بهذا في كتبه؛ ومن ذلك: "أما الحشر فنعني به إعادة الخلق، وقد دلت عليه القواطع الشرعية، وهو ممكن بدليل الابتداء، فإن الإعادة خلق ثان، ولا فرق بينه وبين الابتداء، وإنما يسمى إعادة بالإضافة إلى الابتداء السابق. والقادر على الإنشاء والابتداء قادر على الإعادة، وهو المعنى في قوله – تعالى –: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾[1].

والنقولات عنه في إثبات هذا المعنى عديدة، بل إنه –ﷺ– حكم على الفلاسفة الذين ينكرون البعث الجسماني بالكفر؛ حيث قال: "خاتمة الكتاب: هل هم كافرون؟

فإن قال قائل: قد فصلتم مذاهب هؤلاء، أفتقطعون القول بكفرهم ووجوب القتل لمن يعتقد اعتقادهم؟ تكفيرهم لابد منه في المسائل: الأولى، والثالثة عشرة، والسابعة عشرة.

قلنا: تكفيرهم لا بد منه في ثلاث مسائل: إحداها: مسألة قدم العالم، وقولهم: إن الجواهر كلها قديمة. والثانية: قولهم: إن الله لا يحيط علمًا بالجزئيات الحادثة من الأشخاص. والثالثة: في إنكارهم بعث الأجساد وحشرها. فهذه المسائل الثلاث لا تلائم الإسلام بوجه، ومعتقدها معتقد كذّب الأنبياء. وإنهم ذكروا ما ذكروه على سبيل المصلحة تمثيلاً لجماهير الخلق وتفهيماً، وهذا هو الكفر الصراح الذي لم يعتقده أحد من فرق المسلمين"[2].

---

(١) الاقتصاد في الاعتقاد، أبو حامد الغزالي، ص ١١٦، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٤م.

(٢) تهافت الفلاسفة، ص ٣٠٧، تحقيق: سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة، ط٦.

المبحث الثاني

أقوال الفلاسفة في المعاد الجسماني وأدلتهم

المطلب الأول

رأي الفلاسفة في المعاد الجسماني

اختلفت أقوال الفلاسفة المتقدمين؛ أما القسم الأول فهم الدهريون منهم يقولون: لا خالق ولا صانع لهذا الكون، وأنه لا بداية ولا نهاية، وأنه لم يزل الحيوان من النطفة، والنطفة من الحيوان، كذلك كان، وكذلك يكون أبدًا، وهؤلاء هم الزنادقة - كما وصفهم الغزالي -(١).

أما القسم الثاني فهم الذين يوصفون بالطبيعيين، وهم قوم أكثروا بحثهم عن عالم الطبيعة، وعن عجائب الحيوان والنبات، وأكثروا الخوض في علم تشريح أعضاء الحيوانات، فرأوا فيها من عجائب صنع الله - تعالى -، وبدائع حكمته؛ مما اضطروا معه إلى الاعتراف بفاطر حكيم، مطلع على غايات الأمور ومقاصدها ... إلا أن هؤلاء لكثرة بحثهم عن الطبيعة ظهر عندهم - لاعتدال المزاج - تأثير عظيم في قوام قوى الحيوان به، فظنوا أن القوة العاقلة من الإنسان تابعة لمزاجه أيضًا، وأنها تبطل ببطلان مزاجه فينعدم، ثم إذا انعدم فلا يعقل إعادة المعدوم - كما زعموا -، فذهبوا إلى أن النفس تموت ولا تعود، فجحدوا الآخرة، وأنكروا الجنة والنار، والحشر والنشر، والقيامة، والحساب، فلم يبق عندهم للطاعة ثواب،

---

(١) انظر: المنقذ من الضلال، أبو حامد الغزالي، ص ١٣٣، تحقيق: الدكتور/ عبد الحليم محمود، دار الكتب الحديثة، القاهرة.

ولا للمعصية عقاب، فانحل عنهم اللجام، وانهمكوا انهماك الأنعام. وهؤلاء أيضًا زنادقة؛ لأن أصل الإيمان هو: الإيمان بالله واليوم الآخر، وهؤلاء جحدوا اليوم الآخر، وإن آمنوا بالله وصفاته[1]. وبمثل هذا القول قال مشركو العرب، الذي قال الله عنهم: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾[2].

أما القسم الثالث فهم المتأخرون من الفلاسفة، والذين يوصفون بالإلهيين - كسقراط وأفلاطون -، فيقولون بمعاد الأبدان فقط، ويثبتون جزاء أخرويًا، لكن كلامهم لا يوافق رأي أهل الإسلام من جميع الجهات[3].

ويعدّ أفلاطون من أوائل الفلاسفة القائلين بأن الأجساد لا تعود بعد الموت، وأن الأرواح فقط هي التي تبعث وتحاسب في الآخرة[4].

أما ثالث المشائين أرسطو، فحاصل قواه أن النفس البشرية تفنى بموت الفرد، وبفناء قواها أيضًا، ما عدا العقل النظري فقط، وأنكر أن يكون هناك جزاء أخروي بعد الموت، فلا بعث ولا جنة ولا نار، والغاية من وجود الإنسان هو التعقل والتأمل المطلق للكون[5].

أما فلاسفة الإسلام: فقالو بالمعاد الروحاني دون الجسماني، وهو أن

---

(١) انظر: المنقذ من الضلال، أبو حامد الغزالي، ص ١٣٤.

(٢) سورة لقمان، آية (٢٥).

(٣) انظر: الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني: ٢/١٦٠، مؤسسة الحلبي.

(٤) انظر: فيدون أو خلود الروح، ترجمة: د/ زكي نجيب محمود، ص١٤٦، الهيئة المصرية للكتاب ٢٠٠١م.

(٥) انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية، يوسف كرم، ص١٨٣، دار القلم، بيروت.

الروح ترجع إلى عالم التجرد والروحانيات. ويقرر الفارابي وابن سينا أن من مات قامت قيامته، ولا قيامة ولا بعث للأجساد.

والحق أن القول بمعاد الأرواح دون الأجساد قول باطلٌ، والاعتقاد به من المعتقدات الفاسدة التي تتعارض مع ما أخبر به الأنبياء - عليهم السلام -.

المطلب الثاني
النفس (الروح) عند الفارابي

يرى الفارابي أن النفس واحدة بالذات، ولكنها متعددة القوى، تفعل كل واحدة منها أفعالها بالآلات الجسمانية "كالقوة الغاذية" التي يتغذى بها، "والمربية" التي بها ينمو، "والمولدة" التي بها يتولد. وهذه القوى الثلاث أقسام تجمعها القوة النباتية، وكذلك القوة الشهوية والغضبية التي تحرك الأعضاء، والتي تجمع القوة الحيوانية.

وقد عقد الفارابي في كتاب "آراء المدينة الفاضلة" فصلًا بعنوان: (كيف تصير هذه القوى والأجزاء نفسًا واحدة؟). وأوضح أن تلك القوى جميعها مرتبة، بحيث تكون كل واحدة منها صورة لما دونها. قال الفارابي: "فالغاذية الرئيسية شبه المادة للقوة الحاسة الرئيسية، والحاسة صورة في الغاذية، والحاسة الرئيسية شبه مادة للمتخيلة، والمتخيلة صورة الحاسة الرئيسية، والمتخيلة الرئيسية مادة للناطقة الرئيسية، والناطقة صورة في المتخيلة، وليست مادة لقوى أخرى، فهي صورة لكل صورة تقدمتها"(١).

أما الصلة بين النفس والبدن، فيرى الفارابي أن الصلة بينهما كصلة السجين بسجنه، محاكيًا في ذلك رأي أفلاطون. قال الفارابي: "وأراد – أي: أفلاطون- برجوع النفس إلى عالمها عند الإطلاق من محبسها أن النفس ما دامت في هذا العالم فإنها مضطرة إلى مساعدة البدن الطبيعي الذي هو محلها، كأنها تشتاق إلى الاستراحة، فإذا رجعت إلى ذاتها فكأنها أطلقت من

---

(١) آراء أهل المدينة الفاضلة، الفارابي، ص ٥٢، مكتبة الحسين التجارية، ط٢، ١٩٤٨م.

محبس مؤذ إلى حيزها الملائم المشتاق"[1].

وقد قسم الفارابي النفوس "الأرواح" بالنظر إلى مصيرها إلى ثلاثة أنواع؛ وهي:

أولًا النفوس العالمة: وهذه ستبقى بعد الموت متلذذة بلذات عقلية، تزداد كلما اتصل بعض النفوس ببعضها؛ لأنها تعقل ذواتها، وتعقل مثل ذواتها مرارًا كثيرة، فيزداد سرورها بتزايد ما تعقل.

ثانيًا النفوس الجاهلة: وهي تحتاج في قوامها إلى المادة؛ إذ لم يرتسم فيها حقيقة شيء من المعقولات، فإذا بطلت المادة بالموت تحولت النفس صورة لما انحل إليه الجسم، ثم لا تزال تتحول من صورة إلى صورة حسب تحول الجسم إلى أن تصل صورة "الماء، والتراب، والهواء، والنار"، وقد يتفق أن يحصل من اختلاط أجزاء العناصر السابقة التي تحول إليها الجسم إنسانًا أو حيوانًا أو جسمًا آخر، فتتنقل النفس صورة في هذا الحيوان الذي تحولت إليه تلك الأجزاء، وهؤلاء هم الهالكون الصائرون إلى العدم.

ثالثًا: نفوس أهل المدينة الفاضلة الذين أصابهم شيء من الرذائل، وهذه تبقى بعد الموت متألمة بألم الحرمان من تلك اللذة العقلية التي كانت للفاضلين الخلّص، فإن الأخلاق الفاضلة التي اكتسبوها من أسلافهم تضاد الأخلاق الرديئة التي اكتسبوها من أنفسهم، فيلحق النفس من هذا التضاد أذى كثير[2].

---

(١) الجمع بين رأيي الحكيمين: أفلاطون الإلهي وأرسطو، أبو نصر الفارابي، ص ٣٥، ٣٦، تحقيق: علي بوملحم، دار الهلال.

(٢) انظر: آراء أهل المدينة الفاضلة، ص ٩٥، ٩٦.

المطلب الثالث

النفس (الروح) عند ابن سينا

يعتبر ابن سينا أشهر فيلسوف ينسب إليه القول بالمعاد الروحاني فقط، واعتبره المتكلمون المتزعم لهذه المسألة، ولذلك كثر نقاشهم له خاصة.

ويتلخص رأي ابن سينا في النفس بقوله: "النفس باقية بعد انحلال البدن، فإذا وقعت المفارقة وهي بعد هيولانية[١]، لم ينطبع فيها شيء من الصور المعقولة التي بها تكون عقلًا بالفعل"[٢].

وقد قسم ابن سينا النفوس (الأرواح) إلى قسمين:

الأول: النفوس التي أدركت المعقولات الأولى فقط، وأدركت أن كمالها في المعرفة، وسعت حتى اتصلت بالعقل الفعال، واكتسبت منه المعارف.

هذه النفوس إذا فارقت البدن، وبطلت القوى الوهمية بجميع عقائدها، وبقيت متجردة عن العقائد التي كانت لها وفي ذاتها، أي تعتقد أن لها عقائد، وأنها فوق العقائد الأولى - إلا أنها غير معروفة عندها بذواتها، حثها الشوق الغريزي على تحصيلها، واشتاقت إليها إذْ هي كمالها، وكل واحد من الأشياء مشتاق إلى كماله الطبيعي غير متوازن دون تحصيله مالم يعقه عائق، فإذا زالت العوائق عاد الشوق الطبيعي.

---

(١) الهيولي: كلمة يونانية تعني: الأصل والمادة. وفي الاصطلاح: جوهر في جسم قابل لما يعرض لذلك الجسم من الاتصال والانفصال، محل الصورتين الجسمية والنوعية. انظر: التعريفات للجرجاني، ص٢٥٧، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

(٢) رسالة السعادة، ابن سينا، ص ١٦.

وهذه النفوس التي أدركت كمالها في المعرفة، واكتسبت معارفها من العقل الفعّال على ضربين:

١) نفوس تسعى في تحصيل العلم والمعرفة، ولكن البدن ينقاد لرغباته البدنية، فيسعى إلى إدراك اللذات حتى يفسد ملكاته العملية، ومثل هذا في الواقع يلحقه الألم بسبب الشوق الذي يحصل لملكاته الرديئة في الآخرة إلى المتع الدنيوية مع فقدان الآلات الموصلة إليها، ولكن الألم لا يلبث أن ينتهي لاضمحلال العادة، وخلاص النفوس من تلك الملكات، ولذلك لم ير أهل السنة خلود أهل الكبائر من المؤمنين"[١].

٢) النفوس الكاملة في العلم والفاضلة في العمل، وهي وحدها التي تستطيع أن تبلغ مرتبة السعادة الكاملة من غير أن يشوبها ألم، يقول ابن سينا في ذلك: "والعارفون المتنزهون إذا وضع عنهم دون مقارنة البدن، وانفكوا عن الشواغل، خلصوا إلى عالم القدس والسعادة، وانتقشوا بالكمال الأعلى، وحصلت لهم اللذة العليا"[٢].

الثاني: النفوس الساذجة التي لم تدرك أن كمالها في إدراك المعقولات.

فهؤلاء عند ابن سينا يعلقون تخيلاتهم – حول سعادتهم وشقائهم – ببعض الأجسام، وهي أجسام الأجرام السماوية؛ فمن كان اعتقاده منهم في نفسه وأفعاله الخير شاهد الخيرات الأخروية على حسب ما تخيلها في هذه الأجسام، ومن كان شريرًا واعتقاده في نفسه وفي فعله الشر شاهد العقاب كذلك.

---

(١) رسالة السعادة، ابن سينا، ص ١٧.

(٢) الإشارات والتنبيهات، ابن سينا: ١٩٢/٢، تحقيق: سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة.

وقد جوّز ابن سينا بعد ذلك أن يفضي التعلق المذكور بهم إلى الاستعداد للاتصال المسعد الذي للعارفين(١).

ويقرر ابن سينا أن الثواب والعقاب هو للنفوس الخسيسة وليس للأنفس المقدسة؛ إذ الأنفس المقدسة تتصل بكمالها بالذات، وتتمتع باللذات العقلية العليا، ولو بقي لها شيء من الاعتقاد بالحسيات تخلفت لأجله عن درجة عليين إلى أن يزول عنها ذلك، فتعود إلى مقامها الرفيع(٢).

يقول في النجاة: "ويشبه أيضا أن يكون ما قاله بعض الحكماء حقًا؛ هو أن النفس إن كانت زكية وفارقت الدنيا، وقد وصف لها نحو من الاعتقاد في العاقبة التي تكون لأمثالهم على ما يمكن أن يخاطب به العامّة وتصور في أنفسهم من ذلك، فإنهم إذا فارقوا الأبدان، ولم يكن لهم معنى جاذب إلى الجهة التي فوقهم لإتمام كمال، فتسعد تلك السعادة، ولا شوق كمال فتشقى تلك الشقاوة، بل جميع هيئاتهم النفسانية متوجهة نحو الأسفل، منجذبة إلى الأجسام، ولا مانع في المواد السماوية من أن تكون موضوعًا لفعل نفس فيها.

قالوا: فإنها تتخيل جميع ما كانت اعتقدته من الأحوال الأخروية، وتكون الآلة التي يمكنها بها التخيّل شيئًا من الأجرام السماوية، فتشهد جميع ما قيل لها من الدنيا من أحوال القبر، والبعث، والخيرات الأخروية. وتكون الأنفس الرديئة أيضًا تشاهد العقاب المصور لهم في الدنيا وتقاسيه. فإن الصور الخيالية ليست تضعف عن الحسية، بل تزداد عليها تأثيرًا وصفاء، كما

(١) انظر: ابن سينا بين الدين والفلسفة، د/ حمود غرابة، ص ١٦٨.

(٢) انظر: المسائل العقدية عند الفلاسفة، د/ أحمد السيد رمضان، ص٣١٧، ٣١٨، دار الدراسات العلمية، مكة المكرمة، ط١، ١٤٣٣هـ.

تشاهد ذلك في المنام، فربما كان المحكوم به أعظم شأنًا من المحسوس"[١].

ويتضمن كلام ابن سينا وأدلته أن النفس مستقلة، ومغايرة للبدن، تتميز بالروحانية وسموها على البدن، وأنها ثابتة، مدركة لنفسها بنفسها، في حين أن البدن متغير مدرك، وأنها هي الإنسان في الحقيقة، وما نقصده بقولنا "أنا"[٢].

والمتتبع لأقوال الفلاسفة على ما بينها من توافق وتفاوت أحيانًا في مسألة المعاد، يجد أنهم يتفقون على أن المعاد له صورتان:

الأولى: الصورة الجسمية، وهي صورة أدنى في نظرهم، وقد نطقت بها الشريعة، وثبتت بالنص النبوي الذي تلقاه الناس.

الثانية: روحانية، وهي الأعلى والأكمل، وثبوتها عندهم بالعقل والقياس.

وخلصوا من هذه التفصيلات التي تطرقوا إليها إلى: إنكار المعاد الجسماني، والقول بالمعاد الروحاني، وحقيقته أن الأرواح تعود إلى عالمها الأول الذي صدرت منه وفارقته مدة مصاحبتها للبدن، وهو عالم العقول المفارقة[٣].

---

(١) النجاة، ابن سينا، ص٢٩٧، ٢٩٨، تقديم: محيي الدين كردي، مطبعة السعادة بمصر، ط٢، ١٣٥٧هـ ١٩٣٨م.

(٢) انظر: البعث والخلود، علي أرسلان، ص ٢٥٩، نشرة إستانبول، ط١، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

(٣) انظر: آراء أهل المدينة الفاضلة، ص ١٦٨، والنجاة، ص ٢٩١، والمدخل إلى فلسفة ابن سينا، عطاء الله زراقة، ص ٣٩٦، ابن النديم للنشر، الجزائر، ط١، ٢٠١٢م، موقف ابن تيمية من آراء الفلاسفة، ص ٤٥٦.

المطلب الرابع

أدلة الفلاسفة على إنكار بعث الأجسام

إذا جمعنا كلام الفلاسفة رأينا أنهم بنوا رأيهم في المعاد على فرضيات واحتمالات، وعلى ضوء هذه الفرضيات (الأدلة) والاحتمالات توصلوا إلى إنكار بعث الأجسام؛ من هذه الفرضيات:

١- أن بدن الإنسان يتحلل وتنتقل أجزاؤه إلى إنسان آخر، وحيوان آخر أو غيره، كما يستحيل ماء وبخارًا، ويمتزج بهواء العالم وبخاره، مما يبعد معه انتزاع أجزائه واستخلاصه(١).

وقد تعامل الفلاسفة مع نصوص الشرع التي تدل على بعث الأجساد تعاملًا غريبًا، فزعموا أن هذه النصوص هي فقط خطاب لعوام الناس وقليلي الفهم؛ وذلك لتقريب الأمر إلى فهومهم القاصرة، وأنهم لو خوطبوا بالمعاد الروحاني لما قدروا على فهمه، وربما أنكروه(٢). ونص ابن رشد على أنه لا ينبغي أن يقال للعوام ويكتب لهم ما لا يفهمونه(٣).

وتأكيدًا لهذا الرأي المغالي من الفلاسفة، وحتى تكون عقيدتهم منسجمة وعلى نسق واحد - كما يظنون -، ذهب ابن سينا إلى تأويل الثواب والعقاب، والجنة والنار، والحوض والصراط، وأن الجنة هي

---

(١) انظر: رسالة أضحوية في أمر المعاد، ابن سينا، ص ٥٥، تحقيق: د/ سليمان دنيا، دار الفكر العربي، ط١، ١٩٤٩م.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص ٤٤-٥١.

(٣) انظر: فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من الاتصال، أبو الوليد ابن رشد، ص ٥٤-٥٧، تحقيق: محمد عمارة، دار المعارف، ط٢.

الوصول إلى عالم العقل، والعقاب هو البقاء في عالم الخيال، وأن النار هي الوهم، والصراط هو الطريق الموصل إلى عالم العقل، مروًا بعالم الخيال[1].

واستمر ابن سينا في تأويل مشاهد القيامة، وما له علاقة بالعذاب والنعيم؛ حيث يقول: "اعلم أن العقل يحتاج في تصور أكثر الكليات إلى استقراء الجزئيات، فلا محالة أنها تحتاج إلى الحس الظاهر، فنعلم أنه يأخذ من الحس الظاهر إلى الخيال إلى الوهم، وهذا هو من الجحيم، طريق وصراط دقيق صعب حتى يبلغ إلى ذاته العقل، فهو إذن يرى كيف الحد صراطًا وطريقا في عالم الجحيم، فإن جاوزه بلغ عالم العقل، فإن وقف فيه وتخيل الوهم عقلًا وما يشير إليه حقًا فقد وقف على الجحيم، وسكن في جهنم، وهلك وخسر خسرانًا مبينًا. فهذا معنى قوله في الصراط. وأما ما بلغ النبي محمد -ﷺ- عن ربه -ﷻ- من قوله: (عليها تسعة عشر)، فإذ قد تبين أن الجحيم هو ما هو، وبيّنّا أنه بالجملة هو النفس الحيوانية وبينا أنها الباقية الدائمة في جهنم، وهي منقسمة إلى قسمين: إدراكية، وعملية. والعملية شوقية وغضبية. والعلمية هي تصوراتُ الخيالِ المحسوساتِ بالحواس الظاهرة، وتلك المحسوسات ستة عشر، والقوة الوهمية الحاكمة على تلك الصور حكمًا غير واجب واحدة ذاتيان، وستة عشر، وواحد تسعة عشر. فقد تبين صحة قوله عليها تسعة عشر. وأما قوله: (وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة)، فمن العادة في الشريعة تسمية القوى اللطيفة غير المحسوسة ملائكة. وأما ما بلغ النبي محمد عن ربه -ﷻ-: (أن للنار

(١) انظر: رسالة في إثبات النبوات، ص ١٠٢، ١٠٣، نسخة إلكترونية، موقف ابن تيمية من آراء الفلاسفة، ص ٤٥٧.

سبعة أبواب وللجنة ثمانية أبواب)، فإذ قد علم أن الأشـياء المدركـة إمـا مدركة للجزئيات؛ كالحواس الظاهرة، وهي خمسة، وإدراكها الصـور مـع المواد، أو مدركة متصورة بغير مواد؛ كخزانة الحواس المسماة بالخيـال، وقوة حاكمة عليها حكمًا غير واجب وهو الوهم، وقوة حاكمة حكمًا واجبًـا وهو العقل، فذلك ثمانية، فإذا اجتمعت الثمانية جملـةً أدت إلـى السـعادة السرمدية، والدخول في الجنة، وإن حصل سبعة منها لا تستتم إلا بالثـامن أدت إلى الشقاوة السرمدية، والمستعمل في اللغات أن الشيء المؤدي إلـى الشيء يسمى بابًا له، فالسبعة المؤدية إلى النار سميت أبوابا لها، والثمانية المؤدية إلى الجنة سميت أبوابا لها"[(١)].

٢- العائد هنا هو البدن، لا الإنسان الذي هو النفس، والتي عليهـا مـدار الحياة الحقيقية. وهنا لا معنى لهذه العودة. يقول ابن سينا: "أنـت إذا تأملت وتدبرت، ظهر لك أن الغالب على ظاهر التربة المعمورة جثـث الموتى المتربة، وقد حرق فيها وزرع، وتكون منها الأغذية، وتغـذّى بالأغذية جثث أخرى، فأنى يمكن بعث مادة كانـت حاملـة لصـورتي إنسانين في وقتين لهما جميعًا في وقت واحد، لا قسمة"[(٢)]. ويتسـاءل ابن تيمية إذا مات إنسان، وتغذى عليه آخر، أو أكله سبع أو حيـوان، فكيف يبعث، وإذا قطعنا يد الكافر ثم أسلم، كيف تكون يده فـي النـار ويكون في الجنة أقطعًا؟ ويقول في ذلك: "إن بعثت جميع أجزائه التـي

(١) رسالة في إثبات النبوات، ص ١٠٣، ١٠٤.

(٢) رسالة أضحوية في أمر المعاد، ص ١٠٨.

كانت أجزاء له مدة عمره، وجب من ذلك أن يكون جسدًا واحدًا بعينه، يبعث يدًا ورأسًا وكبدًا وقلبًا، وذلك لا يصح؛ لأن الثابت أن الأجزاء العضوية دائمًا ينتقل بعضها إلى بعض في الاغتذاء، ويغتذي بعضها من فضل غذاء البعض"[1].

ومحصل كلام الفلاسفة هنا، أن النفس جوهر مجرد عن المادة، وهي باقية بعد الموت، ومعاد ورجوع البدن الأول كاملًا من المحال؛ لأن بدن الميت يتحلل وتأكله الحيوانات والحشرات، ويدخل بعضها في تكوين غيرها من المخلوقات، حيث يتحول التراب إلى نبات، والنبات هو غذاء للحيوان والإنسان، والإنسان يأكل الحيوان، فإذا أعيدت الأرواح، فإلى أي بدن تعود؟ وكيف نتصور عودة الأجسام بعد التحلل والتفرق والتغير؟[2].

ومما قاله الفلاسفة: إن الإنسان إذا مات تحلل بدنه إلى تراب، فلا يتصور أن يعود إلى صورة آدمي، ويكون قابلًا لتلقي الروح، إلا إذا رقي في أطوار طبيعية مختلفة؛ بأن يمتزج امتزاجًا يصير به نباتًا، فيأكله إنسان، فيتحول دمًا، ثم نطفة، ثم تلقى النطفة في رحم، فتتحول مضغة ثم علقة، ثم جنينًا، ثم طفلًا فشابًا، وهكذا. والتراب لابد له من هذه الأطوار ليصبح إنسانًا، وهذا من المحال[3].

---

(١) رسالة أضحوية في أمر المعاد، ص ١٠٦، ١٠٧.

(٢) انظر: المسائل العقدية عند الفلاسفة، ص ٣٢٠، ٣٢١.

(٣) انظر: رسالة أضحوية في أمر المعاد، ص ١٠٨، والمسائل العقدية عند الفلاسفة، ص ٣٢٣.

وخلاصة رأيهم:

أن النفس تبقى بعد الموت بقاء سرمديًا، إمّا في لذة عظيمة إذا كانت زكية، وإمّا في ألمٍ عظيم إذا كانت ناقصة ملطخة. أو يتفاوت الناس في درجات الألم واللذة كما يتفاوتون في المراتب الدنيوية.

والنفس الجاهلة المنشغلة بالبدن وشهواته في الدنيا، تتألم في الآخرة بفوات اللذة النفسية، وإن لم تشعر بذلك الألم في الدنيا؛ لأن البدن ملهي ومنسي، كالخَدِر الذي لا يحس بالنار. فاللذات الجسدية حقيرة بالنسبة إلى اللذات الروحانية العقلية، ويدل عليه أن الملائكة ليس لها لذات حسية، وهي أشرف حالًا من البهائم.

المبحث الثالث

قول أهل السنة في المعاد الجسماني وأدلتهم

سبق إيراد قول أهل السنة ومن وافقهم من المتكلمين في المعاد، وأنهم يثبتون المعاد الجسماني والروحي، وأن عود الأبدان ممكن وواقع؛ لأنه راجع إلى علم الله وقدرته الباهرة، فالذي خلق من لا شيء، قادر على إعادة الإنسان بعد تحلله وتفرقه.

الأدلة القرآنية:

الأدلة من القرآن متضافرة على بعث الأجساد، وعلى قدرته -ﷻ- على ذلك، وعلى وقوع ذلك كشيء مشاهد.

والإيمان ببعث الأجساد مندرج في الإيمان باليوم الآخر الذي هو الركن الخامس من أركان الإيمان.

وقد حفلت الآيات بمجادلة المنكرين من أهل الشرك مجادلة عقلية؛ ولهذا فمعظم هذه الأدلة أدلة شرعية عقلية.

وقد أقسم الرب - سبحانه - بوقوع المعاد وتحققه، قال - تعالى -: ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ﴾[1]. قال الشنقيطي: "والموجب لهذا التوكيد هو شدة إنكار الكفار للبعث والجزاء"[2].

وقد ذكر السعدي إقسامه -ﷻ- على وقوع البعث، يقول -رحمه الله-: "يقول- تعالى - لنبيه -ﷺ- : (وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ) أي: يستخبرك

---

(١) سورة الذاريات، الآيتان (٥، ٦).

(٢) أضواء البيان، محمد الأمين الشنقيطي: ٤٣٦/٧، دار الفكر، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.

المكذبون على وجه التعنت والعناد، لا على وجه التبين والرشاد (أَحَقٌّ هُوَ) أي: أصحيح حشر العباد، وبعثهم بعد موتهم ليوم المعاد، وجزاء العباد بأعمالهم، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر؟

(قُلْ) لهم مقسمًا على صحته، مستدلًا عليه بالدليل الواضح والبرهان: (إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ)، لا مرية فيه ولا شبهة تعتريه.

﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ﴾، لله أن يبعثكم، فكما ابتدأ خلقكم ولم تكونوا شيئًا، كذلك يعيدكم مرة أخرى ليجازيكم بأعمالكم"(١).

وبين الرازي فائدة القسم؛ حيث إن من الناس من لا يقر بالشيء إلا بالبرهان الحقيقي، ومنهم من لا ينتفع بالبرهان الحقيقي بل ينتفع بالأشياء الإقناعية كالقسم(٢).

ومن أنواع الأدلة التي جاءت لإثبات بعث الأجساد ما يأتي:

١) **الاستدلال بالنشأة الأولى على النشأة الآخرة (الثانية):**

يقول الله - تعالى-: ﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ ۝ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ۝ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ﴾(٣).

قال القرطبي: "أي: ونسي أنا أنشأناه من نطفة ميتة، فركبنا فيه

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي، ص ٣٦٦، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.

(٢) انظر: التفسير الكبير، محمد بن عمر الرازي: ١٧/١١٠، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣.

(٣) سورة يس، الآيات (٧٧ - ٧٩).

الحياة، أي جوابه من نفسه حاضر؛ ولهذا قال -ﷺ-: "نعم، ويبعثك الله ويدخلك النار". ففي هذا دليل على صحة القياس؛ لأن الله -ﷻ- احتج على منكري البعث بالنشأة الأولى. (قال من يحي العظام وهي رميم)، أي: بالية. رم العظم فهو رميم ورمام ... وقيل: إن هذا الكافر قال للنبي -ﷺ-: أرأيت إن سحقتها وأذريتها في الريح، أيعيدها الله؟! فنزلت (قل يحييها الذي أنشأها أول مرة)، أي: من غير شيء، فهو قادر على إعادتها في النشأة الثانية من شيء، وهو عجم الذنب. ويقال: عجب الذنب بالباء. (وهو بكل خلق عليم)، أي: كيف بيدي ويعيد"[1].

ويقول - سبحانه-: ﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى ۝ أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةٗ مِّن مَّنِيّٖ يُمۡنَىٰ ۝ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةٗ فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝ فَجَعَلَ مِنۡهُ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝ أَلَيۡسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾[2].

ويقول - سبحانه-: ﴿وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوۡفَ أُخۡرَجُ حَيًّا ۝ أَوَلَا يَذۡكُرُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ يَكُ شَيۡـٔٗا﴾[3].

ويقول - تعالى-: ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ۝ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ۝ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ۝ ثُمَّ

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبدالله القرطبي: ١٥/٥٨، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م.

(٢) سورة القيامة، الآيات (٣٦-٤٠).

(٣) سورة مريم، الآيتان (٦٦، ٦٧).

إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ۝ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴾[1].

والمفهوم من الآيات واضح وجلي، عبر عنه ابن القيم في تفسيره لهذه الآيات: " قوله - تعالى -: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾[2].

يقول - سبحانه -: إن كنتم في ريب من البعث فلستم ترتابون في أنكم مَخْلُوقون، ولستم ترتابون في مبدأ خَلَقِكم من حال إلى حال إلى حين الموت، والبعث الذي وُعِدْتم به نظير النشأة الأولى، فهما نظيران في الإمكان والوقوع، فإعادتكم بعد الموت خَلْقًا جديدًا كالنشأة الأولى التي لا ترتابون فيها، فكيف تنكرون إحدى النشأتين مع مشاهدتكم لنظيرها؟"[3].

٢) <u>الاستدلال بإحياء الأرض الميتة على إحياء الموتى:</u>

يقول - سبحانه -: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾[4].

---

(١) سورة المؤمنون، الآيات (١٢-١٦).

(٢) سورة الحج، الآية (٥).

(٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية: ٢/٢٥٩، تحقيق: مشهور ابن حسن آل سلمان، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٣هـ.

(٤) سورة فاطر، آية (٩).

ويقول الله – تعالى-: ﴿فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.[1]

ويقول – تعالى –: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۚ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[2].

علق ابن القيم على الآية الأخيرة بقوله: "... فدل – سبحانه – عباده بما أراهم من الإحياء الذي تحققوه وشاهدوه على الإحياء الذي استبعدوه، وذلك قياس إحياء على إحياء، واعتبار الشيء بنظيره، والعلة الموجبة هي عموم قدرته – سبحانه –، وكمال حكمته، وإحياء الأرض دليل العلة"[3].

٣) **الاستدلال بخلق السموات والأرض على بعث الموتى:**

وفي هذا الشأن آيات متعددة؛ منها:

قال – تعالى-: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰ ۚ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[4].

يقول ابن كثير: "يقول – تعالى –: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ أي: هؤلاء المنكرون للبعث يوم القيامة، المستبعدون لقيام الأجساد يوم المعاد ﴿أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ﴾ أي: ولم يكرثه خلقهن، بل قال لها: "كوني" فكانت، بلا ممانعة ولا مخالفة، بل طائعة مجيبة خائفة وجلة، أفليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى؟ كما قال في الآية الأخرى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ

---

(١) سورة الروم، آية (٥٠).

(٢) سورة فصلت، آية (٣٩).

(٣) إعلام الموقعين: ١/١٠٧.

(٤) سورة الأحقاف، الآية (٣٣).

وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[1]؛ ولهذا قال: ﴿بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[2].

وقال – تعالى –: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ۝ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا﴾[3].

٤) **الاستدلال بإخراج النار من الشجر الأخضر على كمال قدرة الله:**

قال – سبحانه –: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ۝ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ۝ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾[4].

قال الشنقيطي: "والمعنى: أفرأيتم النار التي توقدونها من الشجر؟ أأنتم أنشأتم شجرتها التي توقد منها؟ أي: أوجدتموها من العدم؟

والجواب الذي لا جواب غيره: أنت يا ربنا هو الذي أنشأت شجرتها، ونحن لا قدرة لنا بذلك، فيقال: كيف تنكرون البعث وأنتم تعلمون أن من أنشأ شجرة النار وأخرجها منها قادر على كل شيء؟

وما تضمنته هذه الآية الكريمة من كون خلق النار من أدلة البعث جاء موضحًا في يس في قوله – تعالى –: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۝ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾. فقوله في آخر يس: (توقدون)، هو معنى قوله في الواقعة: تورون. وقوله في آية يس: (الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا)، بعد قوله: (يحييها

---

(١) سورة غافر، آية (٥٧).
(٢) تفسير القرآن العظيم ابن كثير: ٧/٣٠٥.
(٣) سورة النازعات، الآيتان (٢٧، ٢٨).
(٤) سورة الواقعة، الآيات (٧١-٧٣).

الذي أنشأها أول مرة) - دليل واضح على أن خلق النار من أدلة البعث"[١].

لقد أجاب الله - تعالى - للذي ضرب هذا المثل بقوله: (قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون). فهو يخرج النار المحرقة من العود الندي الرطب، فهو إيجاد الضد - وهو الحرارة - من ضده - وهو الرطوبة -، وهذا هين على الرب القادر على كل شيء.

٥) <u>الاستدلال بالبعث الحسي المشاهد في الحياة الدنيا:</u>

سمى ابن تيمية هذا الدليل دليلَ الوجود والعيان. قال -ﷺ-: "فإنه - سبحانه - دل على إمكان إحياء الموتى وقدرته على ذلك بطريق الوجود والعيان، وبطريق الاعتبار والبرهان، والأول أعظم الطريقين، فلا شيء أدل على إمكان الشيء من وجوده"[٢].

وفي سورة البقرة نجد عددًا من الشواهد:

أ- <u>الرجل الذي مر على قرية (عزير أو غيره):</u>

قال - تعالى-: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ

---

(١) أضواء البيان: ٥٣٤/٧، ٥٣٥.

(٢) درء تعارض العقل والنقل، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية: ٣٧٥/٧، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط٢، ١٤١١هـ ١٩٩١م.

يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾(1).

ب- **قصة إبراهيم -عليه السلام-:**

قال - سبحانه -: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(2).

ج- **خبر الذين خرجوا من ديارهم:**

قال - تعالى -: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾(3).

د- **في سورة الكهف، القصة المشهورة للفتية المؤمنين:**

قال - تعالى -: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ۝ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ۝ فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ۝ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴾(4).

---

(1) سورة البقرة، الآية (٢٥٩).

(2) سورة البقرة، الآية (٢٦٠).

(3) سورة البقرة، الآية (٢٤٣).

(4) سورة الكهف، الآيات (٩-١٢).

الأدلة من السنة:

عن أبي هريرة -ﷺ-، عن النبي -ﷺ- قال: "قال الله: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك؛ فأما تكذيبه إياي فقوله: لن يعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون عليّ من إعادته، وأما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولدًا، وأنا الأحد الصمد، لم ألد ولم أولد، ولم يكن لي كفئًا أحد"(١).

قال ابن حجر في الفتح: " ... والمراد به بعض بني آدم، وهم من أنكر البعث من العرب وغيرهم، من عبّاد الأوثان والدهرية، ومن ادعى أن لله ولدًا من العرب أيضًا، ومن اليهود والنصارى"(٢).

وأما الأدلة العقلية:

فقد بين ابن تيمية -رحمه الله- أنه يستدل بأدلة العقل عند حجاج المنكرين، وأن هذه الأدلة مندرجة تحت الاستدلال العقلي، وتكون: "تارة بعلمه بوجود الشيء، وتارة بعلمه بوجود نظيره، وتارة بعلمه بوجود ما هو أبلغ منه؛ فإن وجود الشيء دليل على أن ما هو دونه أولى بالإمكان منه"(٣).

وقال تلميذه ابن القيم: "والصحيح أن العقل دل على المعاد والثواب والعقاب إجمالًا، وأما تفصيلًا فلا يُعلم إلا بالسمع"(٤).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، ح (٤٩٧٤)، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.

(٢) فتح الباري، الحافظ ابن حجر العسقلاني، تصحيح وترتيب: محب الدين الخطيب، تعليق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المعرفة - بيروت ١٣٧٩هـ.

(٣) مجموع الفتاوى، ابن تيمية: ٣/٢٩٨، جمع: عبد الرحمن بن قاسم، ط: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط١، ١٤٢٥هـ.

(٤) حادي الأرواح، ابن القيم، ص ٢٥٧، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١.

وقد أجاب أهل السنة على إنكار الفلاسفة عودة الأجساد - وقولهم: إنها بعد تحللها وتفرقها يستحيل عودتها - بأجوبة صريحة، وبينوا زيف أقوالهم في مقابل قدرة الله الذي ينطق أعضاء الإنسان يوم القيامة: ﴿ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾[1]، واستدلوا بنصوص شرعية عقلية ذكرت شبه المنكرين للبعث؛ ومن ذلك قوله - تعالى -: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ﴾[2] ، وقوله - تعالى -: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا﴾[3]، وقوله - تعالى -: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۭۚ بَلۡ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ كَٰفِرُونَ﴾[4].

<u>وحاصل ما قالوه:</u>

١) أنه لا تتميز أجزاء كل بدن عن الآخر بعد أن تستحيل ترابًا، وتختلط ببعضها.

٢) استبعاد قدرة الله في إعادة هذه الأجزاء، وأن ذلك غير ممكن.

٣) أنه لا فائدة من عودة أناس وبعثهم بعد إماتتهم.

والرد جاء في عدد من الأدلة الشرعية الواردة في إثبات البعث، وهي متضمنة للحجاج العقلي الصريح، كما لفتت الأنظار إلى قدرة الخالق سبحانه، والبراهين التي جاءت في القرآن للدلالة على البعث هي لتقرير:

---

(١) سورة يس، الآية (٦٥).

(٢) سورة سبأ، آية (٧).

(٣) سورة الإسراء، آية (٤٩).

(٤) سورة السجدة، آية (١٠).

١) كمال علم الله.

٢) قدرته الكاملة.

٣) كمال حكمته.

كما أشار إلى هذا ابن القيم -رحمه الله-، فقال: "وهو - سبحانه - يُقرر المعاد بِذكر كمال علمه، وكمال قدرته، وكمال حكمته"[١].

فكمال العلم نجد الحديث عنه عند ختم عدد من آيات البعث؛ ففي سورة يس يقول - سبحانه- بعد عرض ما يتعلق بالبعث: ﴿وَهُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ﴾[٢]، ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ﴾[٣]، وفي سورة ق :﴿قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظُۢ﴾[٤] آية، فالله يعلم كل ما يتحلل ويذهب ويختلك، قال - تعالى-: (ما تنقص الأرض منهم). قال ابن كثير: "قال العوفي: عن ابن عباس في قوله: (قد علمنا ما تنقص الأرض منهم) أي: ما تأكل من لحومهم وأبشارهم، وعظامهم وأشعارهم. وكذا قال مجاهد، وقتادة، والضحاك، وغيرهم"[٥].

وأما كمال القدرة، فقد أشارت صراحة آيات البعث والمعاد إليه كثيرًا، قال - سبحانه -: ﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ۞ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾[٦]،

(١) الفوائد، ابن القيم، ص٧، تحقيق: محمد عزير شمس، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٩هـ.

(٢) سورة يس، آية (٨١).

(٣) سورة يس، آية (٧٩).

(٤) سورة ق، آية (٤).

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ٣٩٥/٧، تحقيق: سامي السلامة، دار طيبة، الرياض، ط٢، ١٤٢٠هـ.

(٦) سورة القيامة، الآيتان (٣، ٤).

وقال – سبحانه –: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾(١)، وقال – سبحانه –: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾(٢)، وقوله: ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ﴾(٣) والآيات في هذا متعددة.

وتقرير كمال حكمته، فقد بين الله أنه خلق الخلق، ويعيدهم لحِكَم عظيمة، ومن أجل هذه الحِكَم الجزاء على الأعمال، والعدل بين الناس، وثواب المحسن وعقاب المسيء، قال –سبحانه –: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾(٤)، وقال – تعالى –: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ﴾(٥) .

وتحدثت الآيات عن الثواب والعقاب في الآخرة، وأنه لإقامة العدل، ودلالة على حكمته – سبحانه –، قال – تعالى –: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝ لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ﴾(٦) .

---

(١) سورة الإسراء، الآية (٩٩).
(٢) سورة الأحقاف، الآية (٣٣).
(٣) سورة الطارق، الآية (٨).
(٤) سورة الجاثية، الآية (٢١).
(٥) سورة السجدة، الآية (١٨).
(٦) سورة سبأ، الآيات (٣-٥).

ومن حكمته في الجزاء الأخروي، أنه يبين للناس ما كانوا فيه يختلفون، ويُظهر كذب كل من أنكر بعث الأجساد، قال - سبحانه -: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰذِبِينَ ۝ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[1]. قال ابن كثير: " ثم ذكر - تعالى - حكمته في المعاد وقيام الأجساد يوم التناد، فقال: {ليبين لهم} أي: للناس {الذي يختلفون فيه} أي: من كل شيء، و﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى﴾[2]، {وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين} أي: في أيمانهم وأقسامهم: لا يبعث الله من يموت؛ ولهذا يدعون يوم القيامة إلى نار جهنم دعا، وتقول لهم الزبانية: ﴿هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ۝ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ۝ ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓا۟ أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[4]"[3].

وبين الله - تعالى - أن ما تفرق وذهب من أجساد المخلوقات فإن الله يعيده، وهو قادر عليه - سبحانه -، كما مرت الآيات سابقًا[5].

ورد الله على من يتوهم أو يشك في إعادة هذه المخلوقات والتي أرمت وذهبت، فقال - سبحانه -: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن

(١) سورة النحل، الآيات (٣٨-٤٠).

(٢) سورة النجم، الآية (٣١).

(٣) سورة الطور، الآية (١٤).

(٤) تفسير القرآن العظيم: ٤/٥٧١.

(٥) انظر: آية سورة البقرة، الآية (٢٦٠)، والآية (٢٥٩).

نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾[1].

ومن الأدلة الصريحة الصحيحة في هذا الشأن قصة الرجل الذي لم يعمل حسنة قط؛ ففي الحديث الذي رواه أبو هريرة -ﷺ-، أن رسول الله -ﷺ- قال: " كان رجل يسرف على نفسه، فلما حضره الموت قال لبنيه: إذا أنا مت فأحرقوني، ثم اطحنوني، ثم ذروني في الريح، فوالله لئن قدر علي ربي ليعذبني عذابًا ما عذبه أحدًا. فلما مات فُعل به ذلك، فأمر الله الأرض، فقال: اجمعي ما فيك منه، ففعلت، فإذا هو قائم، فقال: ما حملك على ما صنعت؟ قال: يا رب خشيتك، فغفر له". وقال غيره: "مخافتك يا رب"[2].

وفي الحديث دلالة واضحة على جمع أجزاء الأبدان بعد تفرقها.

ومن خلال النص السابق يتضح أن المعاد مصرح به في النصوص الشرعية، وأنه للأبدان وإن تفرقت، وإن تحللت، وليس للمنكرين حجة ولا دليل صحيح.

وقد ناقش ابن تيمية شبه الفلاسفة، وقولهم باستحالة عودة الأبدان بعد تحللها وتلاشيها، فقال -ﷺ-: "استحالة الجسم إلى جسم آخر مشهود معروف عند العامة والخاصة، كما يقول الفقهاء: إذا استحال الخمر خلًّا، أو العذرة رماداً، والخنزير ملحاً، ونحو ذلك، وكما يكون الإنسان منياً ثم يصير علقة، ثم مضغة.

فإما أن يقال: إن أجزاء العذرة تفرقت، وهي بعينها باقية حين صارت

---

(١) سورة القيامة، الآيتان (٣، ٤).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، ح (٣٤٨١)، واللفظ له، ورواه مسلم في صحيحه، ح (٢٧٥٦).

رماداً، وإنما تغيرت صفاتها، كما يتغير اللون والشكل، بمنزلة الثوب المصبوغ، وبمنزلة الخاتم إذا عُمل درهماً - فهذا مكابرة للحس؛ لأن الفضة التي كانت خاتماً هي بعينها التي جعلت درهماً أو سواراً، وإنما تغير شكلها؛ كالشمعة إذا غُير شكلها. وكذلك إذا صبغ الجسم أو تحرك، فهنا اختلفت صفاته التي هي أعراضه.

وأما المني إذا صار آدميًا، والهواء إذا صار ناراً، والنار إذا طفئت صارت هواء، فهنا نفس حقيقة الشيء استحالت. فخلق من الأولى ما هو مخالف لها، وفنيت الأولى ولم يبق من نفس حقيقتها شيء، ولكن بقي ما خلق منها، كما يبقى الإنسان الذي خلق من أبيه بعد موت أبيه، ولا يقول عاقل: إنه عبارة عن أجزاء كانت في أبيه فتفرقت فيه"[1].

وبين -رحمه الله- أن ما يحصل لبدن الإنسان من تغير واستحالة في أطوار حياته المختلفة لا تلغي حقيقة أن هذا الإنسان هو ذاك على ما حصل لبدنه من تغير واختلاف، فمن رأى شخصًا وهو شاب، ثم رآه وهو شيخ، علم أن هذا هو ذاك، مع هذه الاستحالة الحاصلة في بدنه، وكذلك الحال في سائر الحيوان والنبات[2].

وقال تلميذه ابن القيم -رحمه الله-: "فإن القرآن والسنة إنما دلَّا على تغيير العالم وتحويله وتبديله، لا جعله عدمًا محضًا وإعدامه بالكلية، فدل على تبديل الأرض غير الأرض والسماوات، وعلى تشقق السماء وانفطارها،

(١) درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية: ١٩٥/٥.

(٢) انظر: النبوات، ابن تيمية: ٣١٦/١، ٣١٧، تحقيق: عبدالعزيز الطويان، أضواء السلف، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ، مجموع الفتاوى: ٢٥٨/١٧، ٢٥٩.

وتكوير الشمس، وانتثار الكواكب، وسجر البحار، وإنزال المطر على أجزاء بنى آدم المختلطة بالتراب، فينبتون كما ينبت النبات، وترد تلك الأرواح بعينها إلى تلك الأجساد التي أُحيلت ثم أنشئت نشأة أخرى، وكذلك القبور تبعثر، وكذلك الجبال تسير ثم تنسف وتصير كالعهن المنفوش ... فهذا هو الذي أخبر به القرآن والسنة، ولا سبيل لأحد من الملاحدة الفلاسفة وغيرهم إلى الاعتراض على هذا المعاد الذي جاءت به الرسل بحرف واحد"(١).

وهكذا نجد أن الآيات الصريحة، والأحاديث الصحيحة، والنظر العقلي – قد دلت جميعها على بعث الأجساد، ولا ينكر ذلك إلا جاحد مكابر، وهو – سبحانه – قادر على كل شيء. وإنكار البعث الجسماني ردٌّ لأدلة القرآن وأدلة السنة وصريح العقل بلا حجة ولا دليل.

---

(١) مفتاح دار السعادة، ابن القيم: ٢/٩٤٤، ٩٤٥، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، تحقيق: عبدالرحمن قائد، ط١، ١٤٣٢هـ، وانظر للاستزادة: منهج القرآن في الدعوة إلى الإيمان، د/ علي فقيهي، ص١٧٠-١٧٣، رسالة في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٣٩٥هـ (غير مطبوعة).

الخاتمـــة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

هنا عرض مختصر لأبرز نتائج البحث:

المعاد هو عودة الأموات وبعثهم أحياء بعد موتهم، وخـــروجهم مـــن قبورهم؛ وهو نوعان: معاد جسماني، ومعاد روحاني.

وحقيقة قول المتكلمين أنهم لا يثبتون المعاد الجسماني لوحـــده، بـــل يرون أن الروح تعود إليه جسده عند البعث، وأن الأجساد لا تعـــدم وإنمـــا تتفرق، وتبقى الأرواح منتظرة اجتماع أجزاء الجسد لتتصل به من جديد.

وقول سلف الأمة من الصحابة والتابعين ومن سار على طريقتهم مـــن أهل العلم والتحقيق: إن المعاد والبعث للبدن والروح معًا، وأن الروح عنـــد الموت تفارق البدن؛ وهي إما منعمة، أو معذبة، وعند البعث تعود إلى البدن.

والصواب أن أبا حامد الغزالي يقول بالمعادين الروحاني والجســـماني، وقد صرح بهذا في كتبه.

وأن سقراط وأفلاطون (متأخري فلاسفة اليونان) يقولون بمعاد الأبدان فقط، ويثبتون جزاءً أخرويًا، لكن كلامهم لا يوافق رأي أهل الإســـلام مـــن جميع الجهات.

وأن أرسطو يرى أن النفس البشرية تفنى بموت الفرد، وبفناء قواهـــا أيضًا، ما عدا العقل النظري فقط، وأنكر أن يكون هناك جزاء أخروي بعـــد الموت.

ويرى ابن سينا أن النفس هي الإنسان في الحقيقة، وما نقصده بقولنا "أنا"، وهي الحالة الأعلى والأكمل، والبدن هو الصورة الأدنى.

حاصل قول الفلاسفة إثبات المعـــاد الروحـــاني دون الجســـماني، وأن الروح ترجع إلى عالم التجرد والروحانيات، وأن النفس تبقى بعــد المــوت بقاء سرمديًا.

إن الأدلة التي استدل بها أهل السنة على إثبات المعاد هي أدلة شرعية عقلية.

وقد لفتت الأدلة إلى قدرة وعظمة الرب – سبحانه –، وأن البـــراهين التي جاءت في القرآن للدلالة على البعث هي لتقرير كمال علم الله، وكمال قدرته، وكمال حكمته.

فهرس المصادر والمراجع

- ابن سينا بين الدين والفلسفة، د/ حمود غرابة، دار الطباعة والنشر الإسلامية، القاهرة ١٩٤٨م.
- آراء أهل المدينة الفاضلة، الفارابي، مكتبة الحسين التجارية، ط٢، ١٩٤٨م.
- الإشارات والتنبيهات لابن سينا، تحقيق: سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة.
- أضواء البيان، محمد الأمين الشنقيطي، دار الفكر، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.
- إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، تحقيق: مشهور ابن حسن آل سلمان، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٣هـ.
- الاقتصاد في الاعتقاد، أبو حامد الغزالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٤م.
- البعث والخلود، علي أرسلان، نشرة استانبول، ط١، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.
- تاريخ الفلسفة اليونانية، يوسف كرم، دار القلم، بيروت.
- التعريفات للجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.
- تفسير القرآن العظيم لابن كثير، تحقيق: سامي السلامة، دار طيبة، الرياض، ط٢، ١٤٢٠هـ.

- التفسير الكبير، محمد بن عمر الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣.
- تهافت الفلاسفة، الغزالي، تحقيق: سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة، ط٦.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م.
- الجمع بين رأيي الحكيمين: أفلاطون الإلهي وأرسطو، أبو نصر الفارابي، تحقيق: علي بوملحم، دار الهلال.
- الجواب الصحيح، أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، تحقيق: علي ابن حسن وآخرون، دار العاصمة، الرياض، ط٢، ١٤١٩هـ ١٩٩٩م.
- حادي الأرواح، ابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١.
- درء تعارض العقل والنقل، أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط٢، ١٤١١هـ ١٩٩١م.
- رسالة أضحوية في أمر المعاد، ابن سينا، تحقيق: د/ سليمان دنيا، دار الفكر العربي، ط١، ١٩٤٩م.
- رسالة السعادة والحجج العشر، لابن سينا، مكتبة تشستربيتى.
- رسالة في إثبات النبوات، ابن سينا، نسخة إلكترونية.
- شرح المقاصد، سعد الدين التفتازاني، إسطنبول ١٣٠٥هـ.
- صحيح البخاري، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.

- فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من الاتصال، أبو الوليد ابن رشد، تحقيق: محمد عمارة، دار المعارف، ط٢.
- فلسفة ابن طفيل ورسالته "حي بن يقظان"، الدكتور/ عبد الحليم محمود، ط: مطبعة الإنجلو.
- الفوائد، ابن القيم، تحقيق: محمد عزير شمس، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٩هـ.
- فيدون أو خلود الروح، ترجمة: د/ زكي نجيب محمود، الهيئة المصرية للكتاب، ٢٠٠١م.
- القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، دار الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٨٧م.
- كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، الحسن بن يوسف الحلي، مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيوت، ط١.
- لسان العرب، ابن منظور الأفريقي، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.
- مجموع الفتاوى، ابن تيمية، جمع: عبدالرحمن بن قاسم، ط: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط١، ١٤٢٥هـ.
- المدخل إلى فلسفة بن سينا، عطاء الله زراقة، ابن النديم للنشر، الجزائر، ط١، ٢٠١٢م.
- المسائل العقدية عند الفلاسفة، د/ أحمد السيد رمضان، دار الدراسات العلمية، مكة المكرمة، ط١، ١٤٣٣هـ.
- مشارق الأنوار على صحاح الآثار، تحقيق: صالح أحمد الشامي، دار القلم، دمشق، ط ٢، ٢٠١٨م.

- مفتاح دار السعادة، ابن القيم، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، تحقيق: عبدالرحمن قائد، ط١، ١٤٣٢هـ.
- المفردات للراغب، الحسين بن محمد الأصفهاني، دار المعرفة، بيروت.
- مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩١م.
- الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، مؤسسة الحلبي.
- المنقذ من الضلال، أبو حامد الغزالي، تحقيق: الدكتور/ عبد الحليم محمود، دار الكتب الحديثة، القاهرة.
- منهج القرآن في الدعوة إلى الإيمان، د/ علي فقيهي، رسالة في الجامعة الإسلامية ١٣٩٥هـ (غير مطبوعة).
- موقف ابن تيمية من الفلاسفة، صالح الغامدي، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤٢٤هـ.
- النبوات، ابن تيمية، تحقيق: عبدالعزيز الطويان، أضواء السلف، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ.
- النجاة، ابن سينا، تقديم: محيي الدين كردي، مطبعة السعادة بمصر، ط٢، ١٣٥٧هـ ١٩٣٨م.

